الملك امنمحات

الاول [1]

للدكتور باهور لبيب

﴿ كيفية اعتلائه العرش ﴾ عقب وفاة الملك منتوحتب الرابع (نب تاوى رع) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة ثار وارث قام نزاع بين الأمراء [2] على تولي الحكم ويظهر انه لم يكن بينهم أحد بارز في شخصيته . لهذا نرى أن امنمحات — وقد كان وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة — يتطلع الى الملك ويمهد لنفسه بما أذاعهُ في البلاد من نبوءة ادعى وجودها منذ عصر منقرو ، وهي تصف ما سيحل بمصر من الخراب وتنادي بأنهُ سيظهر ملك من الجنوب اسمهُ « امني » (وهو مختصر امنمحات) يحكم الوجهين القبلي والبحري حكماً صالحاً ليوطد حكمه طمأنينة الناس وفرحهم

ولقد ساعد على تحقيق مأربه واعتلائه العرش ما عرف عنهُ وهو وزير من نفوذ كبير فقد كان يحمل ألقاباً سامية غير الوزارة

على ان بعض العلماء يذهب في أن الملك امنمحات هذا هو امنمحات وزير الملك منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة على أحدث الآراء . ولكنهم لم يستطيعوا أن يفسروا لنا اجتماع العوامل المختلفة على تأييد وجهة نظرنا . فمن ناحية مسلم بأن الملك منتوحتب الرابع توفي عن غير وارث وان أحداً من الأمراء لم يثبت انهُ كان إذ ذاك يسمى باسم امنمحات وان هذا الاسم كان على وجه اليقين لوزير الملك المتوفى وان هذا الوزير كان ذا سطوة ونفوذ فليس هناك ما يدعو الى الوقوف عن ترجيح الرأي بأن يغتصب هذا الوزير المُلك خصوصاً وان التاريخ

---

(١) حكمَ من عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ١٩٧٠ ق . م . ويلاحظ الخطأ الناتج في بعض المؤلفات العربية من ايراد اسمه بالبين (امنمحت) أو بالباء (امنمحيت) بدلاً من الالف وهذا الخطأ منشؤه التعريب من المصرية القديمة . ويلاحظ انى أخالف كثيرين من العلماء في عدم عد مؤسس الدولة الوسطى كما بينت ذلك في مقالي التي نشرتها بمجلة كلية الآداب عن الملك « نب حبت رع » ويلاحظ ان اسمه يبدأ بلفظ الاله « آمون » وانه يمكننا أن نستنتج من ذلك ان صاحبه من الجهة التي كانت عبادة الاله آمون سائدة فيها في ذلك الحين ولعل ذلك يكون امنمحات الاول من جهة الاقصر وأرمنت

(٢) هؤلاء الامراء كانوا عبارة عن ملوك صغار في اقاليمهم فلكل منهم جيشه الخاص وحاشيته الخاصة وهيئته الخاصة التي حضرها في صخور حاسة الملك

قد ضرب لنا أمثلة أخرى لمثل هذه الحالة عند ما اقام الوزير « يارعمسو » نفسه ملكاً باسم رمسيس الاول وعند ما انتزع القائد حور محب العرش وتسمى باسم الملك «حور محب»

على ان هذا المنطق تؤيده أدلة تاريخية اخرى فكيف يمكن أن نجمع بين ما ورد في النبوءة السابقة الذكر من ان ملكاً من الجنوب سيتولى الحكم وبين ماهو ثابت من ان هذا الوزير كان من الجهة المذكورة ، لو لم يكن ماذهب رأينا اليه صحيحاً

﴿ ما اتخذه في سبيل تأييد عرشه وامم اعماله ﴾ ما أن أحست البلاد المجاورة بأزمة الحكم في مصر حتى حشدت جنودها على الحدود الشمالية الشرقية والجنوبية تطلعاً الى آمال الغزو فبادر امنمحات فوراً الى طرد العدو بحزم وشدة شكيمة من تلك الحدود فأطد الطمأنينة في البلاد وكسب ثقة رعاياه

اما الامراء والحكام فسعى الى استمالتهم بما منحهم من اقطاعيات وما وسعه من دائرة اراضي بعضهم كما فعل مثلاً مع خنوم حوتب الاول إذ عينهُ حاكماً على منعات خوفو (بني حسن) ثم اقطعه بعد ذلك اقليم قسم الوعل وذلك مكافأة له على اخلاصه للملك ومساعدته له في حروبه الداخلية والخارجية

وجرى الملك امنمحات الاول على سياسة توحيد الكلمة بين المتخاصمين فأخذ يطوف في القطر ويزيل المنازعات بين الحكام ويبسط العدل

وقد اقتضت الحكمة من ذلك الملك أن يهدم من سلطة حكام الاقاليم باقامة كبار الموظفين منافسين لهم في النفوذ وجرى على تلك السياسة الادارية ملوك الاسرة الثانية عشرة من بعده حتى زال ما للحكام من سطوة نهائياً

وقد راعى الملك في توزيع السلطات الادارية ان يكون لولي عهده قسطٌ فيها حتى يلم شيئاً فشيئاً بمختلف نواحي الحكم ويتدرب عليه ويمهد له السبيل ضماناً لبقاء العرش لخلفه فأشركه معهُ في الحكم إشراكاً فعلياً عشر سنوات كاملة قبل وفاته. وقد جرى على هذا النحو خلفاؤهُ من بعده. ولعلّ ما أوعز اليه باتخاذ هذا التدبير تدبير مؤامرة غير موفقة لاغتياله

وقد تطلب تركيز السلطة الادارية في العاصمة ، نقلها من طيبة (لم يكن مكانها بتوسط القطر إذ هي نائية عن مصر الشمالية وقريبة من الحدود الجنوبية) الى اثيناوى (ومكانها الآن بالفيوم بالقرب من بلدة اللشت الحالية وعلى بعد اربعة اميال من جنوبي منف) . والى جانب هذا التعليل الاداري الذي يستند الى معنى « اثيناوى » وهو قابضة الارضين (اي الوجهين القبلي والبحري) قد تكون العلة في اختيار العاصمة الجديدة بين منف والفيوم منعلة بمشروعات الري العظيمة التي بدأت في ذلك العصر ولا سيما أن معظم الاراضي بجوار

منف كانت ملكاً للبيوت القديمة التي أصبحت الآن ملكاً للتاج ومن ممتلكات الملك

واذا اضفنا الى واقعة بدئه حكمه باختيار موقع عاصمته الجديدة بين منف والفيوم، وجود مقبرة له في شكل هرم بالقرب من الفيوم ووجود هرم ابنه سنوسرت الاول في جهة الفيوم ايضاً ووجود لوحة حجرية له في بلدة الخنج بالفيوم، وكذلك وجود تقايا مسلة له ما زالت كائنة في مزارع تلك البلدة، رأينا في ذلك ادحاضاً صريحاً لما يزعمه بعض المؤرخين من ان اهتمام قدماء المصريين بجهة الفيوم قد بدأ في عهد الملك امنمحات الثالث وتأييداً لما نقوله من ان عناية ملوك الاسرة الثانية عشرة بها ترجع الى عهد الملك امنمحات الاول

بعد أن فرغ الملك امنمحات الاول من التنظيم الاداري للبلاد بدأ ارساله البعثات الى منطقة سينا لاستغلال المناجم واستخراج مسحوق معدن النحاس لتنمية موارد البلاد المالية. وقد سار باقي ملوك هذه الاسرة على ما بدأ به هذا الملك في هذا الصدد. ولقد ظن بعض العلماء ان ارسال البعثات الى سينا لم يكن قد بُدِئ فيه في عهد الملك امنمحات الاول وأنه قد استقل بذلك دونه من أتى بعده من ملوك هذه الاسرة. غير ان هذا القول مردود بما وجدناه في سينا من آثار لذلك امنمحات ذاته. ويجدر بنا ان نذكر أن اهم ما كان يستخرج من مناجم سينا هو مادة تسمى « اللخيت »[1] كانوا يطحنونها ثم يعمدون الى تسخين المسحوق الناتج الى درجة حرارة عالية فيحصلون منها على معدن النحاس. وهذا المعدن كان من أهم موارد الدولة في ذلك الحين. بل اتخذه ملوك هذه الاسرة مقوماً مالياً في التعامل

وقد واصلت هذه البعثات بعثات أخرى لاستغلال المحاجر فقد ورد في النصوص ان هذا الملك بعث موظفيه الى وادي الحمامات لاستحضار حجر البرشيا (وهو أحد الاحجار الجميلة التي كانت تستخرج من الجهة الواقعة بين النيل والبحر الاحمر ليصنع منها الملوك تماثيلهم وتوابيتهم)

وأقام هذا الملك حصناً أطلق عليه « جدار الملك » في وادي طميلات لحماية حدود الدلتا الشرقية بل لمراقبة التوافل الاسيوية الرحالة مما يدل على يقظة هذا الملك وحذره من أولئك الاسيويين. وقد دلتنا النصوص على ان اليقظة كانت شديدة والحراسة دقيقة في هذا الحصن

---

(١) لا يوجد النحاس في مصر بعد أن منقولاً في الطبيعة ولكنه موجود في مركباته ومع ذلك فقد عرفه واستعمله قدماء المصريين منذ فجر التاريخ وكانوا أول من اكتشفه في العالم. وهم خامات النحاس معروفة في مصر في الخنجيت واسمه باللغة المصرية القديمة « شمت » وهو مكون من أكاسيد النحاس الطبيعية ولونه اخضر وهو يكثر في شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية وبلاد النوبة أيضاً وهي خامات النحاس [illegible] وقد استعملوه بصفة خاصة في أغراض شتى كتحسين الجيوب والتلوين [illegible] ان أقدم [illegible] الى العالم الخارجي في العالم القديم في مصر الحرير

ثم شيد الملك امنمحات الاول في طيبة مسقط رأسه معبداً عظيماً للاله آمون . كما بنى كما ذكرنا على شكل هرم مقبرة له بالقرب من الفيوم . ولما كان الملوك قد جروا على اقامة بلدة بجوار كل هرم يسكن فيها من ساهموا في بناء هذه الدار الخالدة من مهندسين وصناع وعمال ومراقبي العمل والنظام من رجال الجيش وكهنة وغيرهم فقد أقام هذا الملك بجوار هرمه بلدة كانت تسمى « كانفرو »

أما سياسته الخارجية فقلنا فيما سبق أن الملك امنمحات الاول وقت ان ولي الحكم تطلع الاسيويون في الشمال الشرقي الى مصر والنوبيون في جنوبها الى تهديد الحدود المصرية وانه بادر الى ردهم على أعقابهم

وقد حدث بعد اربعة وعشرين سنة من توليه الحكم ان قامت اضطرابات جديدة على الحدود الشمالية الشرقية من قبل الاسيويين فأرسل الملك حملة عسكرية قوية بقيادة قائده « نسومنتو » اخضعهم بها اخضاعاً لم يقم لهم بعدها قائمة لحين وفاته

ثم بدأ اضطراب في العام التاسع والعشرين من حكمه على الحدود الجنوبية فأرسل ولي عهده الشاب « سنوسرت » على رأس الحملة لاخضاع النوبيين فأفلح في غزو منطقة الواحات بالنوبة . ولعل تلك الحملة لم يكن غرضها مجرد اخضاع النوبيين بل قصد بها أيضاً الى الاستيلاء على ما اشتهرت به بلاد النوبة من الذهب والعاج وريش النعام والجلود . وهو ما تحقق على يد ولي العهد رئيس الحملة

وتروي لنا قصة « سنوهي » عن حملة ثالثة بعث فيها الملك بولي عهده سنوسرت على رأس جيش لمعاقبة الليبيين المتمردين على حدود مصر الشمالية الغربية . فعاد ولي العهد بعدد كبير من الاسرى ورؤوس لا تحصى من الماشية . ومع ان القصة لم يرد فيها تاريخ معين لهذه الحملة فإننا نستطيع ان نستنتج أنها تأتي في المرتبة الزمنية بعد الحملتين الاوليين عما جاء في تلك القصة من أن ولي العهد اضطر في جنح الظلام الى العودة الى العاصمة تاركاً رآسة الحملة الى أحد قواده بمجرد ان بلغه خبر وفاة والده الملك

وانتهى حكم هذا الملك بعد ثلاثين عاماً من توليه العرش ونستطيع ان نقول انه قد اصابه توفيق كبير في كلتا سياستيه الداخلية والخارجية فبينما افلحت وسائله في تركيز النفوذ في يد صاحب العرش عما كفل معه الاتجاه بجهوده الى تحقيق الاصلاحات الداخلية رى ان حملاته العسكرية الثلاث قد اوتيت نجاحاً . فلا عجب ان يكون هذا التوفيق المزدوج سبباً في ان : « يعم الأمن رعاياه عند وفاته » كما حدثتنا قصة سنوهي